KADHAYA TARIKHIA

مجلة دراسات تاريخية

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

الاستيطان الأوروبي و أثره على مجتمع الأهالي في منطقة عموشة

(1871 –1945 م)

European settlement and its impact on the people's community in the Amoucha region 1871- 1945

أ.د/ سفيان لوصيف

أستاذ التعليم العالي جامعة سطيف 2

sofianeloucif@yahoo.fr

المجلد: 08 العدد: 01 الصفحات: 101- 119

تاريخ الاستلام: 2022/12/23 تاريخ القبول: 2023/06/09 تاريخ النشر: ../../2023

ملخص:

يتناول المقال لدراسة و التحليل الاستيطان الأوروبي بمنطقة عموشة خلال للفترة الاستعمارية الفرنسيةبين 1871 و 1954، فخلال هذه للفترة لستقر هؤلاء و امتلكوا الأراضي الشلسعة و الخصبة على حساب الجزائريين للذين انتزعت منهم أراضيهم و طردوا إلى الجبال و المرتفعات و

لشتغلوا عند المستوطنين الأوروبيين بحر قليل، و ظهرت الزراعة التجلية التي تخدم اقتصاد الدولة الاستعمارية مثل زراعة الكروم و القمح، في المقابل عانى الجزائريون من الفقر الشديد و انتشار البطالة و وصل الأمر إلى حد ندرة الغذاء و انتشار اللو ء فكان للظاهرة الاستيطانية انعكاسات سلبية على المجتمع الجزائري المعاصر.

الكلمات المفتاحية: عموشة – الاستيطان الأوروبي – الاقتصاد الاستعماري – الجزائر.

.

Abstract: The article deals with the study and analysis of the European settlement in the Amoucha region during the French colonial period between 1871 and 1954. During this period, they settled and owned vast and fertile lands at the expense of the Algerians, whose lands were taken from them and they were expelled to the mountains and highlands and worked for the European settlers for a small wage. And commercial agriculture appeared that serves the economy of the colonial state, such as the cultivation of vineyards and wheat. On the other hand, Algerians suffered from extreme poverty and widespread unemployment, and the matter reached the extent of food scarcity and the spread of the epidemic. The settlement phenomenon had negative repercussions on contemporary Algerian society.

Keywords: European settlement - French colonial – Amoucha.

مقدمة:

استقر الكولون الذين هم من أصل أوروبي في عموشة استقرارا كاملا في المزارع التي منحتهالهم الإدارة الاستعمارية، و كان ذلك على حساب الملاّك الجزائريين الأصليين الذين انتزعت منهم أراضيهم بحجج واهية و مظالم تعسفية، كما جرت عادة الاستعمار الذي ينتهز الفرص التيتبرر اعتداءاتهلهذه كالانتفاضات الشعبية و غيرها، فاتحا المجال أمام تكوين إقطاعيات كبيرة وضيعات فلاحية ولسعة، و نوجز صوره في المظاهر الآتية:

تطور الاستيطان الأوروبي في عموشة:

دأب الاستعمار الفرنسي على وضع مخططات و سنقوانين تضم مختلفأنواع الأنظمة العقاريةالتي تسهل عملية مصادرة الأراضي الزراعيةمن الفلاحين في المنطقة، لكيتوزع فيما بعد على المهاجرين الأوروبيين، فخلال مرحلة 1871- 1882 أنجزما يقارب مئة و سبع و تسعين 197 قرية لستيطانية في الجزائر، و كلنت ويما يقارب ثلاثينألف ساكن، و لموازاة لعمليات التعمير فقد الفلاحون الجزائريونما يقارب نصف مليون هكتار، و هي من أجود الأراضي التي كانت بحوزتهم إلى نهاية [i]1870، و من أجل تشجيع عملية الاستيطان و جذب مزيدمن المستوطنينللزراعيين فتحت إدارة الاحتلال الهجرة الأوروبية إلى الجزائر عامة و منها منطقة عموشة.

وقد شرعت الإدارة الاستعمارية في تشكيل للنواة الأولى للقرية الاستعمارية في عموشة و تيزي نبشار و ثنية الطين بعد مصادرة حوالي 95 %من الأراضي السهلية الخصبة، و إجبار الأهالي الجزائريين على للنزوح إلى سفوح الجبال و السكن فيها، فخلال للفترة الممتدةبين سنتي 1853 – 1865 تكونت الأبراج العسكرية في المرتفعات و قمم الجبال لمراقبة تحركات سكان المنطقة لاسيما برج تقيطونت[ii].

و نلمس بدا ت الاستيطان في عموشة من خلال التقارير العسكرية و الإدارية الفرنسية، و أول تقرير هو الذي أعده و أرسله السيد ' Le Ggéomètre 'بتاريخ 4 أوت 1876 بشأن إنشاء مجمع سكني أوروبي أوضح فيه أهمية إقليم ثنية الطين، من حيث نوعية التربة الجيدة، و الأمطار الغزيرة، و فيه كل مقومات نجاح الزراعة، و إمكانية تربية الحيوا ت، و كثرة للمنابع، و للمناخ المعتدل، و طرق المواصلات للمتوفرة نحو سطيف، و في المجمل خلص التقرير إلى أن القرية فيها إيجابيات كبيرة تساعد في نجاح الاستيطان الأوروبي[iii].

و تفعيلا للعملية و تسهيل عملية مصادرة الأراضي من مالكيها وفق القوانين المعدة مسبقا أرسل جنرال مقاطعة قسنطينة إلى الحاكم العام في الجزائر تقريرا يخبره أن أراضي ثنية الطين تم تحويلها أو مصادرتها، و يطلب منه إلحاقها بمصالح الاحتلال الفرنسي، و هو ما حدث حيث وزعت أراضيها على المستوطنين الفرنسيين و الأوروبيين[iv].

و ثاني تقرير هو الذي أعده النقيب ' Lang ' سنة 1877 و الذي اقترح فيه إنشاء مجمع استيطاني في تيزي نبشار، بمساحة 33, 91 هكتار، بتكلفة 29129 فرنك، لتعبيد الطرق و غرس الأشجار و التزود بالمياه، و بناء مساكن، و إنجاز طرق مؤدية إلى مركز التجمع السكاني[v].

و جاء في تقرير فرنسي آخر في 31 أوت 1877، أن الحاكم العام طلب من جنرال مقاطعة قسنطينة خلق مركز استيطاني على الطريق الرئيسي بين سطيف و خراطة بالتحديد في منطقة عموشة، و حددت الدراسة للموقع من حيث نوعية التربة الجيدة و الخصبة لزراعة الحبوب، و وفرة المياه و ختم التقرير أنه بإمكان المعمرين الاستقرار بالمنطقة، و حدّدت تكلفة المشروع بـ 64524 فرنك، يتضمن إنجاز شبكة المياه، شبكة الصرف الصحي، و بناء كنيسة[vi].

و خلال سنة 1878 بدأ الاستيطان الأوروبي في عموشة بمجيء خمس عائلات متكونة من خمسة رجال و أربع نساء و ثمانية أطفال و كانوا أول من استقر بها، و بعدها بسنة قدم إليها أوروبيون كانوا يسكنون في سطيف، و بدأ الاستيطان يتطور ببناء منازل للمعمرين، و قامت شركة ' Julian ' بإنجاز مدرسة، و احتوت عموشة خلال سنة 1879 على 7 مزارع، 20 عقارا حضريا، 04 عقارات صناعية، و 72 شخصا، و خلال سنة 1889 أحدثت مشاريع توسعية مثل بناء دار الفرع البلدي، و غرس الأشجار، و ارتفع عدد المستوطنين إلى 140 فرنسي و 6 من جنسيات أوروبية سنة 1891، و خلال سنة 1913 استفاد الكولون من خط هاتفي، و تدعم الفرع البلدي سنة 1929 بلجنة مسيرة تكونت من مساعد و عضو[vii].

و سمح تقرير 03 مارس 1880 للمستوطنين بإنشاء 04 تجمعات حضرية و06 مجمعات صناعية، و بناء منازل لستة معمرين[viii]، و في سنة 1882 صودرت 244 هكتار من أراضي الأهالي لتوسيع التجمع السكاني، و في سنة 1901 سكنت عائلة ' Grosseline ' بتيزي نبشار تتكون من ستة أفراد، استغلت 85 هكتار في زراعة الحبوب، 09 هكتارات في زراعة الكروم، و 20 هكتار من البساتين، و امتلكت ثروة حيوانية هامة ' 100 رأس من الغنم، و 23 رأسا من الأبقار، 32 رأسا من الأحصنة '[ix].

و منذ مطلع القرن 20 م برز ملّاك كبار من المعمرين في عموشة استحوذوا على مئات الهكتارات من الأراضي، و كونوا مساحات شاسعة للزراعة التجارية التي أساسها زراعة الكروم و إنتاج العنب، و جعلوا من المنطقة حقولا تنتج الخمر، فلا تخلو جهة فيها من الكروم فحتى المساحات الصغيرة استغلوها في ذلك، و كانوا أسيادا على الأرض و على السكان الأصليين، و برز من هؤلاء المستوطنين الأسماء التالية:

Laporte Julien, Dugourc Adrien, Epiphanie frères: Edmond - Michel, Torrent joseph, Cartanaz Charles, Bousquet Auguste, Louis Malaval[x].

و شيّد المستوطنون الأوروبيون في عموشة وتيزي نبشار العمران الكولونيالي، وللذي تموقع في مناطق إستراتيجية دفاعية، لاتتداخل مع الإطار للمبني التقليدي، عبارةعن مدن صغيرة ذات شوارع رئيسية و تتفرع عنها شوارع صغيرة تضم ملحقة بلدية، فمن ضيع واسعة و منازل ذات سقوف حمراء (قرميد) إلى للقرى، ومن كنيسة موطنة في الوسط، ساحة علمة، مركز بريد، و مدرسة، و حلمية عسكرية في الأطراف، و المقبرة المحاطة بشجار السرول...، كلها معالم كلنت تظهرتمايزا مجلياليبين البيئة الاجتماعية للعمران و بيئة الإنسان المحلي الريفي[xi].

و نشير إلى أنه بعد مصادرة الأراضي جيء لمعمرين من فرنسا (الجنوب و الشرق الفرنسي و كورسيكا) ومن إيطاليا لاستغلالها، و أراضي أخرى منحت لليهود الجزائريين للذين لستفادولمن الجنسية الفرنسية على غرار ' Cros Benjamin, Bruyer Alexandre '، وقد فرضت الإدارة الاستعمارية على المستوطنين الرقلبة القانونية بمنع بيع الأراضي المصادرة للجزائريين حتى سنة 1918، و كان المستوطنون يتوزعون كالتالي خلال سنة 1914[xii]:

القرية الاستعمارية	الهكتارات	فرنسيون	أوروبيون
عموشة	2876	89	04

و في وثيقة تتضمن الملكية المشتركة للمعمرين: ' Auriol et Dugourc ' في عموشة، موزعة على النحو التالي:

- الأراضي: 150 هكتارا.

- أراضي و مروج طبيعية: 150 هكتارا.

- أراضي الرعي: 52 هكتارا.

- أراضي البناء: 28 آر.

- أراضي صناعية: 352 هكتار[xiii].

و امتلك المستوطن ' Dugourc ' أراضي أخرى منها ضيعة فلاحية تقدر مساحتها بـ 99 هكتار، و في مجموع ما يمتلك يقدر بـ 452 هكتارا لوحده[xiv].

و كان اهتمام السلطة الاستعمارية لصناعة في عموشة قليلا، وهذا ما نلاحظه في تقريرها سنة 1940، وما أشار إليه هو مشروع قيد الإنجاز هو استغلال للمياه المعدنية الغازية في عين الحامضة، و محجرة عين مقرمان، و مصنع توليد الكهرباء في وادي للبارد للذي يمد مدينة سطيف و تستفيد منه عموشة، و أولاد عدوان، و عين الكبيرة ' Perigotville '[xv]، في حين انتشرت الصناعات التقليدية المحلية في الوسط الجزائري في المنطقة مثل صناعة للزرابي و الأواني الفخارية، و كانت على ضفاف الأودية المطاحن التقليدية المستخدمة في طحن القمح للاستهلاك المحلي، و صناعة الأواني الخشبية و الفحم في وادي البارد[xvi].

الزراعة و الفلاحة: تكريس هيمنة الكولون

اهتمت الإدارة الاستعمارية في القطاع الفلاحي بنتزاع أراضي سكان عموشة، و توزيعها على المعمرين الأجانب ليحتكروا إنتاجها مكونين بذلك الاستعمار الفلاحي، و تعتبر منطقة عموشة أرضا فلاحية بما توفره ظروفها الطبيعية (تضاريس و مناخ) من إمكانيات ملائمة لازدهار الفلاحة و تطورها لكون سلاسل الجبال تميز بين إقليمين طبيعيين.

وقد تعرض القطاع الفلاحي في المنطقة خلال فترة الاحتلال الفرنسي بفعل التوغل الاستعماري إلى تحولات عميقة، واللتي أعادت هيكلة بناه الإنتاجية على أساس مقتضيات السوق

الفرنسية، و المركز الرأسمالية،فاحتكر الأوربيون الفلاحة العصرية المعتمدة على التقنيات و المفاهيم الزراعية الحديثة، واللتي تحظى بمختلف أشكال الدعم من إقامة بنيات تحتية، و نظام المكافآت المتعددة و المتنوعة للمستوطنين الزراعيين لتسهيل غرس جذورهم في المنطقة أولا، و لتسهيل اندماجهم في الاقتصاد الفلاحي الفرنسي نيا[xvii].

و لقد أدرك منظرو السياسة الاستعمارية من اقتصاديين و عسكريين أن الوجود الاستعماري مهزوزا لم يستند إلى دعامة من المستوطنين الزراعيين، يشكلون بذلك ضمانة لترسيخ السلطة الاستعمارية، و نشير هنا إلى أن الأوروبيين لم يكتفوا حصلوا عليه من إدارة الاستعمار من مساحات شاسعة صادرتها من السكان المالكين لها،بل كانوا يزحفون على أراضي جيرانهم الأهالي، فيبتلعونها تدريجيا، و لم تكن حدود مزرعة الأوروبي تعتبر حدودا نهائية إلا عندما تلتقي بحدود مزرعة أوروبي آخر، و هذا ما لمسناه عند الذين صودرت أراضيهم في المنطقة عامة.

الكروم: الزراعة التجارية الرائجة

اهتم الكولون في الجزائر و لاسيما عمومة بشكل رئيسي على زراعة الكروم، إذ تركز إنتاج هذا القطاع على محاصيل العنب اللتي تدخل في صناعة الخمور، و معظم إنتاجه كان ينقل إلى الأسواق الفرنسية و عليه فقد شهدت زراعته انطلاقة كبيرة، و شكلت مصدر ربح لنسبة للمستوطنين[xviii]، وكان هذا بتشجيع من الإدارة الاستعمارية اللتي هدفت إلى خلق مستعمرات زراعية خاصة الكروم، و أولتها الهيئات السيلسية و العسكرية الدعم، ولهذا اعتبر زراعة الكروم لنسبة للكولون في عمومة و الجزائر عامة نقطة تحول هامة في جهود الحركة الاستيطانية.

و خلال فترة ما بين الحربين للعالميتين عرفت زراعة الكروم تطورا هاما، و يرجع ذلك إلى الأر حاللتي حققها الكولون، بسبب الارتفاع المستمر في أسعار الخمور، و رواج تجارتها في فرنسا و إعفائها من ضريبة التصدير إلى الخارج[xix]، وقد تطور إنتاج العنب في عمومة و زادت المساحات

المزروعة لعامل ملائمة تربة و تكيف الكروم معها في المنطقة، فاستحوذت على أغلب المساحات المزروعة، و امتدت على نطاق واسع من قرية ضيافات إلى قرية الخندق،بما فيها مساحات من مركز عموشة، و كانت سهول كرنيلا الواسعة كلها كروم،التي امتلكها المعمر الفرنسي' Laporte ' و بعض الأحزاء منها التي تطل على قرية بوقلعة امتلكها المعمر' Torrent '، و الجدول التالي يمثل مساحة الكروم المزروعة في عموشة[xx].

اسم المستوطن	Dugourc	Epiphanie frères	Cartanaz	Malaval	Torrent	Laporte	Bousquet
المساحة	6, 5هـ	9,5هـ	5 هـ	4هـ	12 هـ	8هـ	8هـ

مساحات الكروم / لهكتار

و أنشأ المعمرون مخازن لتحويل العنب إلى نبيذ منهم المعمران ' Torrent ' و ' Cartanaz'، وقد شهد إنتاجها تناقصا كبيرا خلال الحرب العلمية الثلنية، بسبب مرض الفيلوكسيرا الذي اجتاح الكروم، ففي تقرير عثر عليه موقع بتاريخ 06 مارس 1942،يبين كمية الكبريت الموزعة على الكولون في عموشة لمجابهة الجائحة التي حدثت[xxi]، و هناك عامل وهو ارتفاع درجة الحرارة و الجفاف الحاصل، و تناقص اليد العاملة و ظروف الحرب عامة[xxii].

لقد عبّر سكان عموشة في الكثير من الثورات الشعبية و الانتفاضات العلمة عن رفضهم لهذه السياسة الاستيطانية، وكانوا ينظرون لها بعين الغضب و السخط، فيقومون بقلعها أو حرقها

كلما اتيحت لهم فرصة بصفة فردية أو جماعية، و هذا الأسلوب من المقاومة وجد في كثير من مناطق الجزائر[xxiii]، و خاصة في الثورة التحريرية كما وقع في عموشة سنة 1958[xxiv].

نستخلص مما سبق أن اغتصاب الأراضي الخصبة من قبل المستوطنين الأوروبيين أدى إلى عواقب وخيمة و مأساوية على الكثير من المناطق في عموشة، فوسائل العيش أخذت تتضاءل لنسبة لجماهير الفلاحين تدريجيا بسبب نقص مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، في حين أن ألملاك المستوطنين كلنت تتعاظم و تكبر أكثر فأكثر، و أن الملكية الإقطاعية للأراضي الزراعية كلنت تقوم على مبدأ من يملك لا يزرع و من يزرع لا يملك.

مجتمع الأهالي في عموشة: صور الحرمان و البؤس

عانى المجتمع المحلي خلال الحقبة الاستعمارية من الفقر للدقع و التخلف الثقافي للذي كرّسه المحتل، إضافة إلى ازد د ضغط الإدارة الاستعمارية عليه و لبتزاز الهيمنة الكولونيللية، و ألما الجانب العملي المنظم فحدث و لا حرج، فالبطالة كانت ضاربة أطنابها إلى درجة للندرة، حيث لا تكاد تجد مواطن يشتغل حرة منظمة تكفل له حقوق العلمل و ميزلته، و لنظرة الفاحصة إلى حللة المجتمع المحلي المكبل بهذه السلبيات مجتمعة فماذا ننتظر منهم إلا البؤس، و التخلف، و الإحباط النفسي، و الشعور لدونية و النقص إلى درجة اليأس، فلا غرو أن مثل هذا المجتمع الذي كان فاقدا لرغبة التطلع إلى ما هو أفضل أن تنتج عنه سلوكات و مقاومات عنيفة للغازي الأجنبي فحللته المزرية اجتماعيا تعكسها المظاهر التالية:

النشاط الفلاحي و اليومي:

كلنت الفلاحة المحلية في عموشة خلال الحقبة الاستعمارية تقليدية، لكنها تلعب دورا اجتماعيا و اقتصاد لأكثرية السكان، و التي تعرضت خلال فترة الاستعمار إلى تحولات عميقة رغم أهميتها الاقتصادية و الاجتماعية، نتجت عما لحقها في علاقتها لاقتصاد الاستعماري للذي سيطر

على أحود أراضي الفلاحين بشتى الطرق و الوسائل، و حصرهم في المناطق القاحلة، فتضاءلت وسائل عيشهم و دفع العديد منهم إلى العمل كعمال في ضيعات المعمرين[xxv]، و الهجرة إلى المدن ليشكلوا النواة الأولى هناك أو الهجرة إلى فرنسا بحثا عن العمل، كما أن إدارة الاحتلال أحاطتها بحزام من البؤس و الحرمان، فكان من نتائجها تجميد و تفتيت هذه الفلاحة، فأغلقت أمامها جميع أبواب الطموح لتجاوز وضعية فلاحة الكفاف.

وقد ظلت الزراعة لوقت طويل تقوم على علاقات بين عاملين الإنتاج المحلي و الاستهلاك الذاتي للسكان، فكانت تقوم بتلبية حاجاتهم كما و نوعا، و إذا كان إنتاج هذا القطاع قد ظل تحت رحمة التقلبات المناخية، فإن عوامل أخرى أسهمت في تغيير ملامحه، و خاصة الإكراهات الجديدة التي أفرزها التدخل الاستعماري، ذلك أن دخول المستعمر إلى المنطقة و ما تبعه من جحافل المعمرين أدى إلى خلخلة هذا التوازن من خلال استيلائهم على أحود و أخصب الأراضي الفلاحية، فأخذت وسائل العيش تتضاءل لنسبة للفلاحين تدريجيا بسبب نقص مساحة الأراضي الصالحة للزراعة.

و هنا نشير إلى أن الاستيطان الزراعي الأوروبي في عموشة كان قد تعرقل تطوره خلال العقود الأولى من الاحتلال الفرنسي و ذلك بفعل استمرار المقاومات الشعبية، و بعد القضاء على هذه المقاومات أصبح الفرنسيون أحرارا ، و سارعوا إلى الحصول على المزيد من أراضي السكان بفعل المصادرة خاصة بعد ثورة المقراني، مما أدى إلى تدمير القاعدة الاقتصادية للفلاحين الذين تزايدت أراضيهم المغتصبة و المسلوبة، عدا بعض للعائلات الإقطاعية المتنفذة التي امتلكت أراضي شاسعة بفعل موالاتها للإدارة الاستعمارية، و تحول قسم كبير من سلبت أراضيهم إلى العمل وفق نظام الخماسة أو عمال في المزارع الأوروبية[xxvi].

و كان السواد الأعظم من اليد العاملة في عموشة تشتغل في الفلاحة مثل الحرث و الحصاد عند المستوطنين الأوروبيين أو القياد، وكان الأجر زهيدا يسدد نقدا و في الغالب يمنح للعامل الحبوب أجر عمله، كما ساد نظام الخماسة و هو أن يعمل الرجل الخماس عند صاحب الأرض طيلة

أ م السنة الفلاحية،من للبذر و لحرث إلى الحصاد وللدّرس، و على الخماس الجهد و صاحب الأرض توفير وسائل العمل، مع احتساب بذور الزرع و أجر عمال آخرين في حالة وجودهم.

وكان غالبية العمال يشتغلون فقط في فترات معينة خاصة أ م الحصاد ثم يسرحون، وكان الكولون يتخذون لتسيير مزارعهم و ضيعهم إنسا من الأهالي يختارونه وكيلا لجميع أعمالهم، و لابد أن تتوفر فيه صفات و مقاييس يراها المستوطنين موجودة فيهم من قدرة و تفاني في العمل، لاسيما الحراسة و الأشغال اليومية و يطلق عليه اسم ' الكومي '.

و أشير هنا إلى أنني تحصلت على المعطيات الإحصائية الدقيقة المتعلقة لخمسين وتوزيعهم من خلال وثق تضمنت الفلاحين للذين يشتغلون عند المستوطن ديقور ' Dugourc ' سنة 1942 وفق نظام الخماسة[xxvii]، و في تقرير آخر احتوى على العمال الأحراء في مصلحة الجسور و الطرقات ' Ponts de choses ' خلال سنة 1943:

العامل	رابح سايح	السعيد سايح	غريب علي	صولة عمار	ع القادر بويوسف	سليمان بويوسف
أجره	30 فرنك	18 فرنك	19 فرنك	21 فرنك	18 فرنك	12 فرنك

العملة: فرنك فرنسي

و كانت بعض المؤسسات الفلاحية التي تشغّل العمال الجزائريين تفرض عليهم شروط قاسية تصل إلى حد المتابعات القضائية في المحكمة العسكرية، و نذكر ما حدث للسيد عيد العيد الذي اتهم لتخلي عن العمل و حوكم في المحكمة العسكرية بقسنطينة بناء على شكوى تقدمت بها مؤسسة ' بول للفلاحة '، و سجن عيد العيد بتهمة أنه قام بتحريض العمال و المشاركة في للتآمر ضد مالك المؤسسة، و رفض دية الواجبات الملقاة على علتقه، ومن حسن حظه أن مفتشية العمل في سالة

لها إلى المحكمة مؤرخة يوم 15 مارس 1940 من طرف السيد مفتش العمل يؤكد فيها عدم وجود القرائن و الأدلة القانونية التي تدينه فأخلي سبيله[xxviii].

و قد اقتصرت المعيشة على الفلاحة ذات المساحات المحدودة في منحدرات الجبال و الهضاب أو بعض الأراضي الصعبة و ذات المردود القليل، و اختصت في إنتاج محاصيل معلشية الاستهلاك محليا[xxix]، و لنعدمت الحرف عدا في دوار بني مسالي للذي لشتهر بصناعة آلات الحرث و الحدادة، و بقية القرى و المداشر تشتغل في الفلاحة الأولية التي تعتمد على أدوات العمل البسيطة مثل البغال و للثيران و المحراث التقليدي و حتى للفؤوس، لأن أغلب السكان يمتلكون مساحات محدودة، و انتشرت الحرف اليدوية على غرار صناعة الأواني الفخارية و للزرابي، و صناعة الأواني الخشبية في وادي للبارد[xxx]، و امتلك للبعض منهم المطاحن للتي كلنت تشتغل لتيارات المائية و ارتكزت على ضفاف الأودية، و كانت المعيشة كفافا بقدر الإمكانيات المتاحة، و إلى جانب الزراعة هناك الكسب الحيواني الذي هو نصف المعيشة مكملا للزراعة.

و كلنت إمكلنيات سكان عموشة مركز أو للقرى محدودة جدلذلكان المسكن بدائيا يقام لإمكانيات المتاحة، و التي تتمثل غالبا في الحجارة و الطين و القرميد المحلي للذي يصنع من الطين المحمى على للنار، و تتخذ سقوف للمنازل من أغصان الأشجار أو من نبات للديس، و عند بعض الميسورين تسقف للمنازل لقرميد المحلي الصنع، و لكن ذلك في حالة تكاد تندر مع قلة للقدرة و شظف المعيشة و محدودية المدخول.

وكان السكن لا يتوفر على أبسط الشروط الصحية للعيش، و قلما تصبغ لجدران مما يفسح المجال لانتشار نسيج العنكبوت، و كثرة الحشرات، و في بعض الحالات كلنت بعض للعائلات تتكدس في غرفة واحدة، وكان الكوخ كإقلمة للأهالي توسع نتيجة للصدمة العنيفة الناجمة عن سيلسة نزع الملكية، و أضحى السمة الغالبة في الريف، كما عرف تحولات مختلفة في عناصره البنائية، مثل استخدام الأحجار للصلبة و الخشب...، لكن هذا لا يعني تحولا إيجابيا في أحوال

للعيش، فالمحال للمبني و إن تحسنت مكوته البنائية ظل دائما يقدم صورة عن البؤس للمعيش، المحال الذي لا يولّد الأمراض فقط بل ينشر اليأس و القلق و أحيا الانتفاضات[xxxi].

و بحكم العمل عند الكولون أقام بعض الأهالي الأكواخ أو للمنازل الهشة بحوار ضيعات الكولون، و بهذا الأسلوب ومع مرور السنوات تشكلت قرى الأكواخ وهو ما اصطلح على تسميتها بالقرلبا جمع قُورِبِي، و المدلشر التي كانت تجمع بين عدد من للمنازل المتواضعة بالنظر إلى تردي الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية[xxxii]، مما جعلها عرضة للعوامل الطبيعية كتساقط الأمطار و الثلوج و ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف، وعادة ما تسبب الكوارث الطبيعية في تحطيمها نذكر منها فيضا ت 14 أكتوبر 1935 الذي هدم البيوت و مات شخص و عدد من المفقودين من سكان عموشة[xxxiii].

الضرائب: الوجه الآخر للسلب

وجد الفلاح في منطقة عموشة نفسه خارج المنظومة الزراعية الاستعمارية و الأكثر من ذلك أرهق كاهله لضرائب، فإلى جانب العوامل السابقة للذكر و التي شكلت عبئا ثقيلا على الفلاحة المحلية للأهالي لم تكن مصلحة الضرائب تأخذ في الحسبان ظروف الفلاحين الجزائريين، فقد كانت تحدد مبلغها بناء على تقديرات القياد المكلفين بوضع تقدير و كميات الإنتاج للأهالي، و هذه التقديرات لم تكن تتم على أساس بحث موضوعي لوضعية الفلاحين و الأشجار المثمرة و رؤوس الماشية التي توجد بحوزة السكان، بل كانت تتم على أساس تصورات لأعوان السلطة المحلية من قياد و خوجة و كبار الجماعة، و التي كانت غالبا ما تجانب الواقع، ليجد للفلاح نفسه ملزما بدفع مبالغ تفوق إلى حد كبير محصوله الفلاحي.

و قد أرهقت الأعباء الضريبية كاهل الفلاحين الأهالي، و حدّت من تطورهم و تحسين معيشتهم، و كان مستوى دخلهم منخفضا إلى درجة رهيبة، حيث لم يكن مكانهم تجديد قوة عملهم

إلى المستوى الضروري من أجل العمل بنشاط في الأرض و إنتاج الخيرات المادية، في ظل تعدد الضرائب المفروضة عليهم و منها:

- ضريبة النفس: كانت تعرف بضريبة الرقبة.
- ضريبة امتلاك الحيوا ت[xxxiv].
- ضريبة الزراعة و المحصول.
- ضريبة التجار و المكوس.

و قد كان الأهالي يدفعون 10 فرنك على كل هكتار يزرعونه و لا تتعدى ضريبة الكولون بـ 1 فرنك للهكتار الواحد، و الرافض لتسديدها تستخدم ضده القوة و يسجن، ويذكر أن شخصا من قرية لعوامر لا يملك مالا لدفع ضريبة الرقبة، فأتى إليه الدوار' Douaires ' (سلك الشرطة الأهلية يسيره المتصرف الإداري في عين الكبيرة)، وفر تجاه كاف كبلدية و هناك ألقي القبض عليه، فاضطر أحد سكان القرية إلى دفع الضريبة التي فرضت عليه نيابة عنه لإخلاء سبيله، وتذكر التقارير الفرنسية أن عموشة دفعت سنة 1944 ضرائب قدرها 36713 فرنك فرنسي وهو رقم كبير جدا مقارنة بما يملكه السكان حينئذ[xxxv].

التكافل الاجتماعي:

امتدادا للسلوكات الخيّرة في مجتمع عموشة التي تنبع أصلا من الدوائر التربوية الآتية من شيوخ الكتاتيب القرآنية، و رعاية عقلاء المجتمع من كبار السن غالبا لما لهم من تقدير وتوقير صلت بهم للعادة و ألفه للعرف الاجتماعي، ويبرز ذلك في التعاون الوطيد بين الناس منها مثلا التعاون في إصلاح الطرقات و الحفر، و تنظيم منابع العيون، و إقامة تلك المساكن البسيطة و لاسيما في وضع السقوف، إذ قلما تجد صاحب بيت يسقف منزله لوحده بل تجري هناك دعوة جماعية حميمية تقدم

فيها أكلات، و لا يفترقون إلا و صاحب البيت مسرورا ببيته الجاهز، و بهذا الإنجاز لخير للذي يترك في نفوس الجميع و ضمائرهم ذكرى جميلة لا تنسى[xxxvi].

و نشير في هذا المضمار إلى ظاهرة تعاونية أخرى مشهورة سمها المعروفة سم 'لتويزا'[xxxvii] للتي غالبا ما تتم في موسم الحصاد التقليدي للذي يتم بوسيلة المنجل و سواعد الرجال، و كان للناس لنسبة لعملية الحصاد يتفاوتون في سعة الملكية الفلاحية، فيبدأ كل ذي ملكية بحصاد زرعه بوسائله و إمكانياته الخاصة، و عندما ينتهي المزارعون من حصاد زرعهم يبقى بعضهم لم ينته من حصاد محصوله، فيلجأ إلى ترتيب عملية للتويزا، فيبلغ أهل حيه و عرشه ن يهبوا جميعا إلى القيام بهذه المهمة النبيلة، فيجتمعون و كلهم عزم و حماس إلى تلبية هذه للدعوة، و لا يفترقون إلا عند اتمامها، و لا ننسى أن هذه التويزا كغيرها من ظواهر التعاون متوفرة على أغذية محلية تتكون غالبا من الكسكس و اللحم و للبن...، و يصحب الحصاد كلام ملحون يعرف محليا لتسبيح ومن أشهر ما قيل في مطلع القول لكلام الدارج:

شبان صغار طاحو في زرع مسبل

حطوه غمار. صل على[xxxviii].

و كانت للمجتمع عادات و تقاليد ظل متمسكا بها بكل فخر و اعتزاز الدينية منها و العرفية، مثل عيد الفطر و الأضحى و المولد النبوي الشريف، و الأعراس و عادات التواصل بين الجيران، و من التظاهرات المعتبرة و المحببة لدى الجميع هو ما يتصل بجانب الإطعام على اختلاف أنواعه و مستو ته مثل اجتماع الميسورين على شراء ما تيسر من الأنعام من البقر و الغنم الماعز، فيجمعون كل ذلك و يقوم نشطاء الجماعة على تهيئة هذه العملية من ذبح و تقسيم للحم سواسية حسب عدد الأشخاص لكل بيت، و يستفيد كل الأهالي بعشاء دسم و فرح متبادل لدى الكبار و الصغار، و كل هذا يعبر عنه محليا بـ ' الوزيع

هوامش الدراسة :

[i]Charles Robert Ageron: Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1962, Paris, P.U.F, 1964, p.47, 48.

1. [ii] Maurice Villard et Yves Bassard: 0p – cit, p.2 .57.
2. [iii] **المستفدون من امتيازات منح الأراضي هم:**
3. **.** Bruyer Alexandre fils, Cros, Kref Marc, Costes Charles, Holox Max, Dumas Joseph, Joseph, Trichot Henri et François, Dray Alcide ' Krill Marie
4. [iv] Maurice Villard et Yves Bassard: Op – cit, p.2 .54, 253.
5. [v]Ibid, p.2 .58, 257.
6. [vi] Ibid, p.245, 246.
7. [vii] Ibid, p.245, 246.
8. [viii] Ibid, p. 246.
9. [ix] Ibid, p. 2 .58.
10. [x] Ibid, p. 247 .
11. [xi] Agustin Berque : L'habitation de l'indigène algérienne, revue Africaine, N°78, 1936, Alger, O.P.U, p.71.
12. [xii] Manuel Bugéja : Monographie de la commune mixte de Takitount, imprimerie Algérienne, Alger, 1927, p.91.
13. [xiii] Rapport sur propriétés Auriol et Dugourc, 1942.
14. [xiv] Ibid.
15. [xv] Notice sur Archive wilaya de Constantine, 1940, ,la commune mixte de Takitount p.4.
16. [xvi] Ibid, p. 5 .
17. [xvii] عبد اللطيف بن أشنهو: تكوين التخلف في الجزائر 1830 - 1962، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص. 164، 165.
18. [xviii] المرجع نفسه، ص. 165.
    i. [xix] Benjamin Stora : Histoire l'Algérie coloniale 1830-1954, Alger, E.N.A.L, 1996, p .76 .
19. [xx] Rapport viticulteur, 14 Avril 1942.
20. [xxi] Rapport sur état répartition du soufre, 06 Mars 1942.
21. [xxii] Notice sur Archive wilaya de Constantine, 1940, ,la commune mixte de Takitount p. 2.
22. [xxiii] بن داهة عدة: الاستيطان و الصراع حول مكية الأرض إ ن الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج 1، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين في الذكرى 45 لعيد الاستقلال، الجزائر، 2007، ص.199.
23. [xxiv] في شهر جوان 1958 قام جيش التحرير الوطني بهجوم محكم في إحدى الليالي على مزرعة المعمر ' Laporte ' رئيس بلدية عموشة، على قطع و قلع الكروم و لأشجار التفاح

التي تبلغ مساحته الإجمالية كثرمن 12 هكتارا، و أتلفتعن آخرها فيمدة زمنية تقدر بحوالي نصف ساعة، لأن العملية جند لها أكثر من 300 مسبل ومواطن، انسحب الجميع سالمين و العملية كانت بقيادة لخضر تواتي، سي العربي بور شي، سي الطاهر شلالي، أنظر: و ئق قسمة المجاهدين عموشة حول العمليات العسكرية لجيش التحرير الوطني.

24. Rapport sur Ouvriers de l'exploitation [xxv] Section. à Amouchas, d'Amouchas

25. Rapport sur Ouvriers de l'exploitation [xxvi] à Amoucha.

26. [xxvii] هم: براهيمي دحمان، براهيمي بخوش، لخضر بويوسف، السعيد بولمخالي، مسعود بولمخالي، بولمخالي،علاوة بولمخالي، مسعود شريفي، عيسى شريفي، سليمان شريفي، عبد القادر شريفي، عبد معوش، قلسي معوش، عمار قرني، علي صمراوي، السعيد داودي، داودي، أحمد داودي، عمر غريب، غريب، الصغير غريب، بوخالفة، بشير لعمامرة، أنظر:

27. Rapport sur Ouvriers de l'exploitation à Amouchas, d'Amouchas Section.

28. [xxviii] Tribunal militaire permanent de la I 3 région, Clermont – Ferrand, 18 Avril 1945.

29. Notice sur [xxix] Archive wilaya de Constantine, 1940, ,la commune mixte de Takitount p .2.

30. Ibid, p. [xxx] 5 .

31. [xxxi] Agustin Berque : L'habitation de l'indigène algérienne, revue Africaine, N°78, 1936, Alger, O.P.U, p.71.

32. [xxxii] من أجل التخفيف من حدة تردي الأوضاع عمدت بعض المكلتب العربية ' les bureaux arabes ' في إطار مشروع قرى العرب إلى بناء مساكنمن الحجر، أغلبها متكون من غرفة واسعة و درا من غرفتين بنافذتين يفصل بينهما فناء، هدفت هذه المبادرات لتحسين أوضاع أهل الريف (الإقامة في الدوار)، بقول أحد مشجعي الاستيطان ' عندما نبني ليس فقطنُؤمّن و لكن نحضِر أيضا '، و لكنها لم تكن سوى تجارب محدودة الانتشار، أنظر:

33. Xavier YACONO, Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du tell Algérois, Paris, Ed : Larousse, 1953, p.p 372 .373..

34. [xxxiii] L'Echo D'Alger : Une trombe d'eau s'abat sur un village des Amouchas, A 24, N 9202, 15 October 1935, p. 1.

35. [xxxiv] جاء في كتاب' Monographie de la commune mixte de Takitount ' أن سكان عمروشة يملكون من الغنم 3430 رأسا، و البقر 1003، و 3040 رأسا من الماعز، و الخيول و البغال 679 رأسا، و 20 خلية نحل.

36. [xxxv] Manuel Bugéja : Monographie de la commune mixte de Takitount, imprimerie Algérienne, Alger, 1927, p.55, 59.

37. [xxxvi] المصدر نفسه.

38. [xxxvii] التويزا: ' Touiza ' هي من أهم و أبرز أشكال التضامن الاجتماعي في القرى و أكثرها شهرة،

39. [xxxviii] شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.